الطـــــــب والأدب!!

د. صـادق السامرائـي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

سأنطلق من تجربتي الشخصية , فقبل أن أكون طبيبا كنت متميزا بالكتابة في المرحلة الإبتدائية والمتوسطة والثانوية , ومغرما بالرياضيات والفيزياء والكيمياء إلى حدٍ غريب , وكان هدفي التخصص في الفيزياء!!

وشاءت الظروف ان أكون طالبا في كلية الطب , وكان عميدها في حينها الدكتور فخري الدباغ الأديب الطبيب , وكنت معجبا بكتاباته وشخصيته , وأطلع على مؤلفاته ومنها الأطباء الأدباء وغيرها , فقد بدأ رحلة التأليف بعد ان أصبح طبيبا.

ومضيت في الكلية الطبية أكتب وأنشر أدبا صرفا بلغة البديع العذب الرقيق , ولم أسميه شعرا في يوم ما.

وترسخت في ذهني أن الطبيب يجب أن يكون موسوعيا وأديبا , وذلك من متابعتي لتأريخ الأطباء العرب , فما وجدت في تأريخنا طبيبا لم يكن أديبا وبارزا في مواضيع لا علاقة لها بالطب , الذي يستوجب كامل الجهد والوقت.

فلماذا يكون الطبيب أديبا؟

هل أنه أديبٌ وصار طبيبا؟!!

ربما ينطبق ذلك على عدد من الأطباء الذين ولدوا أدباء ووجدوا أنفسهم في ميادين الطب يعملون , ويمارسون التفاعل الإنساني مع الناس , وهذا التواصل يؤجج فيهم رغبة الكتابة , ويمنحهم أفكارا تستدعي التدوين والإمعان بالإبداع والتصوير للحالات المترائية أمامهم.

ولا أدري عند أول تفاعل لي مع المريض وجدتني أمتلك رغبة في الكتابة , وطاقة فوارة للتعبير عن أشياء تتوافد ولا تنضب.

فهل أن الطب يقدح رغبة الكتابة؟

ليس كل طبيب أديب , أحد الزملاء بعد أن تجاوز العقد السابع من العمر وجدته منغمسا بالأدب , ويقول : لقد إنفتح أمامي عالم جميل كنت أبحث عنه , فأخذ يكتب ولا يزال وقد تجاوز العقد التاسع من العمر!!

يبدو ان الطبيب لكي يكون أديبا عليه أن يمتلك مخزونا لغويا كبيرا , وتربطه باللغة علاقة خاصة تؤهله للإنطلاق بالكتابة.

فمعظم الأطباء الأدباء , علاقتهم باللغة التي يكتبون بها متميزة , وقدراتهم التوليدية من اللغة عالية , وإنغماسهم في معجمية مفرداتها لا حدود لها , أي أن توفر لغة الكتابة لديهم من أهم العناصر التي تدفعهم للكتابة المتواصلة.

سأنطلق من تجربتي الشخصية , فقبل أن أكون طبيبا كنت متميزا بالكتابة في المرحلة الإبتدائية والمتوسطة والثانوية , ومغرما بالرياضيات والفيزياء والكيمياء إلى حدٍ غريب , وكان هدفي التخصص في الفيزياء!!

مضيت في الكلية الطبية أكتب وأنشر أدبا صرفا بلغة البديع العذب الرقيق , ولم أسميه شعرا في يوم ما.

ترسخت في ذهني أن الطبيب يجب أن يكون موسوعيا وأديبا , وذلك من متابعتي لتأريخ الأطباء العرب , فما وجدت في تأريخنا طبيبا لم يكن أديبا وبارزا في مواضيع لا علاقة لها بالطب , الذي يستوجب كامل الجهد والوقت.
فلماذا يكون الطبيب أديبا؟

عند أول تفاعل لي مع المريض وجدتني أمتلك رغبة في الكتابة , وطاقة فوارة للتعبير عن أشياء تتوافد ولا تنضب.
فهل أن الطب يقدح رغبة الكتابة؟

وهذا يأخذني إلى الأطباء في مسيرة الحضارة العربية فمعظمهم تعلموا القرآن وحفظوه وهم في أعمار مبكرة , فاكتسبوا ثراءً لغويا دفعهم للتعبير بواسطته عما ينعكس في دنياهم من الحالات التي يواجهونها يوميا.

أي أن غزارتهم المَعجمية من العوامل الحاسمة في جمعهم بين الطب والأدب.

ولهذا فلكي تكون طبيبا أديبا لا بد من إمتلاك المفردات الكفيلة بتأهيلك للكتابة الأدبية وأنت طبيب.

ذات مرة قال لي أستاذي الدكتور فخري الدباغ : " يجب أن يكتب الطبيب" , وما أدركت مقصده إذ كنت في المرحلة الثانية من كلية الطب , وكان ذلك تعليقا على قصة قصيرة كنت قد نشرتها في جدارية الكلية.

في الكلية الطبية كنا نجتمع لأكثر من مرة في الأسبوع على طاولة واحدة توسعت مع الأيام لتضم معظم شعراء الكلية ومحبي الأدب فيها , وكانت الأفكار تتناغم والقصائد تتوالى , وبرز شعراء لهم قدرة تأثيرية على المستمعين ,ومعظمهم تلاشى مع الأيام , وما عدت أسمع ببروز أحدهم , وكانوا يتصورون أنها مرحلة وإنتهت , فالنسبة العظمى منهم تركوا الشعر والأدب.

وقد فاجأني أحد الزملاء بعد سنوات من التخرج , وقد جمع قصاصات الأوراق التي كنت أنشرها في المكتبة بين طلاب الكلية , وأدهشتني الأفكار التي كانت فيها , فأثناء القراءة الطويلة في مكتبة الكلية , أمرر قصاصة ورق أكتب فيها خاطرة أو فكرة أو بعض شعر , تعجبتُ من زميلي الذي أهداني إياها ووجدتها تصلح أن تكون كتابا!!

ترى هل أن الطبيب يصاب بمرض الكتابة؟!!

البعض يرى ذلك , وقسم من الأطباء يتشافى منه والبعض الآخر يستوطنه ويكون مزمنا ومؤلما , فما فائدة أن يكتب الطبيب , وهو ليس بحاجة للكتابة , أو العيش منها , بل تجلب له المتاعب والمخاطر ؟!

بعض الأطباء ترك الطب وتفرغ للكتابة , وهؤلاء أدباء كانوا أطباء , لكني أتحدث عن الأطباء الذين يمارسون مهنتهم ويكتبون.

كما أن بعض الأطباء عندما تقاعدوا أخذوا يكتبون , وهؤلاء حالة أخرى لا تمت إلى مفهوم الطبيب الأديب.

في العراق عايشت أطباء أدباء لكنهم يمارسون الطب , والأدب عندهم هواية عندما يتوفر الوقت , وبعضهم مارسوا الأدب لكنهم لم ينشروا أو يتفاعلوا مع الوسط الثقافي في البلاد.

وفي البلاد العربية هناك العديد من الأطباء الأدباء المشاهير في الأدب كالقصة والشعر , أما في العراق فعلاقة الطبيب بالأدب تكاد تكون نادرة!!

يبدو ان الطبيب لكي يكون أديبا عليه أن يمتلك مخزونا لغويا كبيرا , وتربطه باللغة علاقة خاصة تؤهله للإنطلاق بالكتابة.

معظم الأطباء الأدباء , علاقتهم باللغة التي يكتبون بها متميزة , وقدراتهم التوليدية من اللغة عالية , وإنغماسهم في معجمية مفرداتها لا حدود لها

هذا يأخذني إلى الأطباء في مسيرة الحضارة العربية فمعظمهم تعلموا القرآن وحفظوه وهم في أعمار مبكرة , فاكتسبوا ثراءً لغويا دفعهم للتعبير بواسطته عما ينعكس في دنياهم من الحالات التي يواجهونها يوميا.

ترى هل أن الطبيب يصاب بمرض الكتابة؟!!
البعض يرى ذلك , وقسم من الأطباء يتشافى منه والبعض الآخر يستوطنه ويكون مزمنا ومؤلما , فما فائدة أن يكتب الطبيب , وهو ليس بحاجة للكتابة , أو العيش منها , بل تجلب له المتاعب والمخاطر ؟!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiMedicine&Literature.pdf

*** *** ***

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3